بلاغة المناظرة: مناظرة أبي سعيد السيرافي ومتى بن يونس نموذجا

عبد الوهاب صديقي

باحث في اللسانيات والحجاج ـ المملكة المغربية

سنحاول استثمار اقتراحات الباحث محمد مشبال في اشتغالنا على إبراز الامكانات البلاغية والحجاجية للنص التراثي العربي ممثلا في المناظرة، واختيارنا لمناظرة أبي سعيد السيرافي النحوي، لمتى بن يونس المنطقي، حول علاقة النحو بالمنطق، علاقة اللفظ بالمعنى، والذي يهمنا إبراز بلاغة المناظرة، ممثلا في خطابها القائم على الاحتمال، اعتبارا أن التحليل البلاغي هو الفضاء الأرحب لتحليل حجاجية النص، وإيمانا منا بتصور الباحث محمد مشبال للبلاغة بكونها: "صفة لأي خطاب يوجه اهتمامه نحو التعبير ويتوخى إحداث وظيفة تأثيرية زائدة على وظيفة الإخبار، وهي توجد في كل أنماط الخطاب اللغوي؛ في القصة والقصيدة والشعار والموعظة والدعاية واللغة وعناوين الأفلام والأمثال وغيرها"[1].

الكلمات المفتاحية: البلاغة؛ المناظرة؛ الحجاج؛ النص؛ التراث؛ النحو؛ المنطق؛ الخطاب اللغوي؛ القصة؛ القصيدة؛ الشعار.

Corresponding Rhetoric

The debate of Abu Saeed Al-Serafi and Matta Bin Yunus as a model

Abstract : Through this study, we will try to reinvest the suggestions and proposals of Researcher Mohamed Meshabal by working on locating and highlighting the rhetorical and argumentative skills of the historical text in Arabic. Our choice of the debates between Abou Said Sairrafi and Matta Benyounes, about the relation of syntax with logic and the relation of utterance with meaning interests us most to demonstrate the rhetoric of the debate and represented in its probability, while taking into consideration that rhetorical analysis is a fierce space for argumentative analysis. Also, believing in the researcher Mohamed Meshabal's conception of rhetoric as: "an attribute of any discourse that directs its attention towards expression and seeks to create an influential function in excess of the function of reporting, which is found in all types of linguistic discourse; story, poem, slogan, sermon, propaganda, language, film titles, proverbs, etc..."

Key words: Rhetoric; Debate; Pilgrims; Text; Heritage; Grammar; Logic; Linguistic discourse; story; poem; logo.

يأتي اختيارنا للمناظرة لأهميتها في الثقافة العربية، فهي تفاعل معرفي بين الذوات بغية الوصول للمعرفة، ولهذه الغاية خصت المناظرة بالرعاية والعناية لدورها في نقل المعارف

تاريخ تسليم البحث: 21 مارس 2016.

تاريخ قبول البحث: 08 جانفي 2017.

والتداول بشأنها بالحجة والحوار ولهذا لا ضير ان يقول الوزير في الليلة الثامنة من ليال الامتاع والمؤانسة، لأبي حيان التوحيدي (ت414هـ)، "اكتب لي هذه المناظرة على التمام فإن شيئا يجري في ذلك المجلس النبيه بين هذين الشيخين بحضرة أولئك الأعلام ينبغي ان يغتنم سماعه، وتوعى فوائده، ولا يتهاون بشيء منه"[2]

في هذه الدراسة سينصب اهتمامنا على ابراز الجوانب البلاغية والحجاجية في نص المناظرة.

1- بلاغة المناظرة: إذا كان مفهوم البلاغة الجديدة rhétorique nouvelle يكتسي أهميته حديثا في الدراسات المهتمة بتحليل الخطاب، فلجدارة الأدوات التي يقترحها أمام الباحث في الخطابات الطبيعية القائمة على الاحتمال والنسبية، الخطابات التي تروم إقناع مستمَع Auditoire ما بدعوى، أو التأثير في رأيه، أو توجيهه وجهة ما دون أخرى.

فقد اعتبر أرسطو البلاغة الكفيلة بالكشف عن طرق الإقناع[3]، واعتبر بيرلمان Chaïm Perlman وتيتكا Olbrechts Tyteca في مصنفهما الحجاج كتمرين تطبيقي لكشف الآليات الاقناعية في الخطاب[4].

أما روث أموسي فقد قدمت في دراسة لها أهمية المدخل البلاغي في ابراز البنية الحجاجية والجمالية في الخطابات، وان كان تركيزها في الدراسة على النصوص السياسية[5]، فإن تعدية تحليلها للنصوص النثرية ممكن مادام النص النثري خطاب طبيعي يروم التأثير في المتلقي.

تأسيسا على هذا الطرح فإن البلاغة تبحث في فن القول L'art de bien parler[6]، أي الآليات الجمالية والبلاغية والحجاجية التي تجعل خطابا ما يحقق المبتغى منه في المخاطَب أي التأثير والتحفيز للفعل، أو اثارة الاعتقادfaire croire حسب الباحث قسطنطين سَلفستري، ولهذا فإن على محلل الخطاب بلاغيا التركيز المحسنات البلاغيةFigures rhétoriques، كالاستعارة Métaphore، والسخريةIronie ، والتورية Calembourوالمبالغة Hyperboleوالكناية[7] Allégorie

بالتالي فاستعمالنا للبلاغة Rhétorique لانقصد به ما يتبادر إلى الأذهان من الحس المشترك؛ المحسنات الكلامية، بل إن القصد هو البحث في الآليات التي تجعل الخطاب يؤثر ويقنع المستمَع بفكرة ما، وبناء على هذا القصد تكون البلاغة والاستعارة استراتيجية خطابية حجاجية، تروم الاقناع والتأثير ببلاغات متنوعة؛ بلاغة الصورة وبلاغة الحجة وبلاغة النادرة، وبلاغة السخرية، بلاغة التصفيق، بلاغة الحرية، بلاغة الجمهور...

تأسيسا على هذا الطرح فإنه يحق لنا اعادة طرح سؤال عميق طرحه الباحث المغربي محمد مشبال في خلاصة بحث له مفاده، " ألم يحن الوقت لكي نبوئ البلاغة مكانتها الحقيقية بوصفها مجالا منفتحا يتشكل باستمرار في صور متعددة؟ [8]".

أي ألم يحن الوقت لاتخاذ المدخل البلاغي في تحليل الخطابات بمختلف أنماطها[9] لإبراز بلاغتها بالتالي فهم للسلوك الانساني بأبعاده الجمالية والثقافية والاجتماعية، وهو ما أكده الباحث محمد مشبال في قراءته لنثر الجاحظ في قوله " وكأن الجاحظ يقص علينا حكايات شخصياته وأخبارها ليسهم في وضع قواعد للسلوك الاجتماعي والتصرف في الحياة على نحو تتطابق فيه مقاييس البلاغة ومقاييس السلوك المنشود، فالبلاغة عند الجاحظ ليست مجرد قواعد لبناء التخاطب، ولكنها أيضا قواعد لبناء حياة الناس في المجتمع"[10]

وبهذا المعنى يكون المدخل البلاغي في تحليل النصوص النثرية، معينا على القراءة التأويل وفهم حياة الناس، بالتالي فالنص النثري ليس نصا لتحقيق المتعة الجمالية فقط، وإنما الغاية منه تحقيق الاقناع والحمل على فكرة التواصل والقراءة النشيطة للنصوص والمشاركة في إنتاج وبناء معناها[11].

وسعيا منا في ابراز الآليات البلاغية في نص المناظرة، والتي جعلتها تؤثر في المتلقين فإننا سنتناول المحاور التالية:

- المناظرة وثقافة الحجاج والحوار
- البلاغة والسلطة والهوية في المناظرة
- الآليات البلاغية والحجاجية في نص المناظرة

1-1 المناظرة وثقافة الحجاج والحوار: تدل المناظرة على المُفاعلة، أي التفاعل بين ذاتين على قدر معين من المعرفة بالموضوع المتناظَر حوله، ولهذا ربطها ابن خلدون (ت808هـ) بالجدل، فالجدل عنده "معرفة آداب المناظرة التي تجري بين أهل المذاهب الفقهية وغيرهم فإنه لما كان باب المناظرة في الرد والقَبول، وكل واحد من المتناظرين في الاستدلال والجواب يرسل عنانه في الاحتجاج ومنه ما يكون صوابا ومنه ما يكون خطأ، فاحتاج الأئمة إلى أن يضعوا آدابا وأحكاما يقف المتناظران عند حدودها في الرد والقبول، وكيف يكون حال المستدل والمجيب وحيث يسوغ له أن يكون مستدلا، وكيف لا يكون مخصوصا منقطعا ومحل اعتراضه، أو معارضته، وأين يجيب عليه السكوت لخصمه الكلام والاستدلال"[12]

وبذلك تكون المناظرة ترسيخا لثقافة الحوار والحجاج، فهي جنس أدبي في الثقافة العربية ارتبط بحقول معرفية متنوعة كالدين والفكر والأدب والنحو والبلاغة، وارتبط أيضا بما أفرزه اختلاط العرب بغيرهم من الموالي والمنتمين لثقافة الفرس والروم وغيرهم، مما برر

النقاش حول قضايا عقدية، ومنطقية، ونحوية وأدبية وكلامية، وإذا كانت المثاقفة تقتضي التخاطب والتفاعل في الاقناع والإفحام، فإن المناظرة شكلت متنفسا للعلماء للمرافعة عن قضايا دينية وفكرية وثقافية كانت تشغلهم.

ونظرا لأهمية "المناظرة"، في تطوير المعرفة وتداولها، وترسيخ ثقافة الاختلاف فقد اعتبرها الدكتور طه عبد الرحمان من أجل تجليات الممارسة الحوارية في الثقافة الاسلامية والعربية، على اعتبار أن الحوار لا يوجد إلا حيث يوجد الاختلاف، فقد نشطت المناظرة في الثقافة الاسلامية في مجالس الأمراء والصالونات الفكرية والأدبية، فتُنظِر في القضايا الدينية، وفي قضايا المنطق واللغة العربية، وفي قضايا النحو العربي وغيرها من القضايا.

وبناء على طرح طه عبد الرحمان فإن المناظرة ليست خطابة حجاجية واستدلالية فقط، بل إنها تعين الدارس على فهم حياة المجتمع الثقافية والسياسية، فالمناظرة دليل على التعدد والحوار والديمقراطية، فالتناظر قرين الحوار والاختلاف، الذي يعني سيادة الديمقراطية والحرية في الاختلاف والتداول للسلطة، بالمقابل فإن غياب المناظرة وسيادة البنيات البرهانية الحسابية تدل على التوحيد الذي يناقض التعدد، ويدل على الاستبداد[13]

الطرح نفسه نجده عند الكثير من الباحثين فالمناظرة "خطابة حجاجية، تُسائل جحود المخاطب الذي يفترض فيه أن يكون ملما بالموضوع عالما به، ولكنه منكر لموقف مناظره بخصوصه[14]"

وقد اعتبر أحد الباحثين وجود المناظرة، تفسير للصراع السياسي والديني في الثقافة العربية الذي لم يكن يصرف دائما بلغة السيف، بل يتم تدبير الاختلاف "بإعطائه طابعا حجاجيا صرفا، بكل ما يعنيه الحجاج من الدفاع عن الرأي، وتبادل الحوار والوصول إلى الإقناع بعيدا عن أشكال التعسف والعنف[15]"

صفوة القول ومن خلال الآراء المؤسس عليها، فإن بلاغة المناظرة تكمن في كونها خطابا حجاجيا يروم التأثير في المتلقي، وترسيخ ثقافة الحوار والتداول وابداء الرأي في القضايا الفكرية واللغوية والسياسية وغيرها.

لهذه الغايات التي تحققها المناظرة فقد اهتم بها الأمراء، وخُصت باهتمام بلاطات الخلفاء، وعقدت مناظرات تحت اشرافهم، وبذلك تكون بلاغتها مرتبطة بالسلطة وبالهوية.

2-1 البلاغة والسلطة والهوية في نص المناظرة: إذا كانت البلاغة منهج حياة وتعبيرا عن تصور فكري وسياسي لها، فإن المناظرة بين أيدينا تعبير عن بلاغة سلطة الوزير العباسي الذي تمت في كنف بلاطه، وارتباط البلاغة بالسلطة والسياسة ليس وليد اليوم، فقد كتب رولان بارط Roland Parthes في كتابه "البلاغة القديمة" L'ancienne Rhétorique أن البلاغة

نشأت في سراكوزا، ضد على أعمال الطاغيين جيلون وهيبيريون حوالي 485 قبل الميلاد، اللذين صادروا ملكية السكان الأصليين، وقسموها على المرتزقة، مما كان معه ضرورة للدفاع عن أحقية في الملكية التمكن من الخطابة والبلاغة للإقناع، والفصاحةEloquence المازجة بين "الديمقراطي والغوغائي، بين القضائي والسياسي"[16].

وتشير بعض الدراسات الغربية حديثا إلى العلاقة المرتبطة بين البلاغة والسياسة، لأن الخطيب السياسي يحتاج إلى آليات الاقناعية التي تمده بها البلاغة، حتى يظهر الخطيب السياسي أهلا لثقة الجمهور، فالسياسي يحتاج للبلاغة لهدف الإقناع[17]، بل إن البلاغة تعبير عن خطاب السلطة [18] Discours du pouvoir، وعن خطابة سياسية كما يقر الباحث البلاغي المصري عماد عبد اللطيف[19]، وعن ايديولوجيا[20].

بالتالي فلهذه الحاجة الملحة للبلاغة من السياسي، فإن أغلبية السياسيين يميلون إلى تعلم أبجديات الخطابة لمخاطبة الجماهير، فرئيس الدولة أو الملك، أو الزعيم السياسي يحتاج للبلاغة للإقناع بجدوى قراراته وسياساته. ملاذه في ذلك سلطة الخطاب، بآلياته اللغوية، وكناياته واستعاراته فهي الأقدر على التأثير في المستمَع من غيرها.

وتربط بعض الدراسات البلاغة بسلطة الخلفيات المذهبية والثقافية الدينية، معتبرة أن هذه الخلفيات المذهبية كان لها "أثر كبير وحميد في إغناء البلاغة العربية" كما يقر الباحث محمد العُمري مقارنا بين مشروعي الجرجاني ذي المرجعية الأشعرية، ومشروع ابن سنان الخفاجي ذي المرجعية المعتزلة[21].

يدل هذا الكلام على ارتباط البلاغة بالذات المبلِّغة، بالتالي يصح القول "تكلم لأراك" وأن " الأسلوب هو الرجل" للقول بالعلاقة الخفية أو الظاهرة بين الذات وبلاغتها واستعاراتها، وربما ظلت السلطة وممثلوها يتقربون من البلاغيين باعتبارهم يمثلون سلطة النخبة وبلاغتها، فلهم دورهم في التأثير في الجماهير كما نجد في دراسة قيمة للباحث عبد الجليل ناظم المعنونة ب: "البلاغة والسلطة في المغرب أحمد بن محمد بن يعقوب الولالي"، فقد انطلق الباحث من بلاغة الولالي الفقيه السني المتصوف، ومن تصوره للنص وشرحه وتأويله وإعادة إنتاجه، ليربطه بالسلطة وتوازنها ووحدتها، وقد اعتبر الباحث عبد الجليل ناظم البحث البلاغي البياني عند الولالي؛ " يعني تحقيق فكرة المجتمع الانساني القائم على التواصل بين الأفراد، وبما أن التعاون بين الأفراد يصطدم بتدافع المصالح والتعرض للظلم فإن العدل ضروري لبقاء النوع الإنساني"[22].

ومنه فإن البلاغي إما أن يجد توازنا بين بلاغة السلطة وبلاغة النخبة أو الجمهور، فيساهم في وحدة الأمة بما يحفظ توازن السلطة ونشر الثقافة، وإما أن يُحارب او ينزوي، بل

إن الباحث يربط نشاط البلاغة بنشاط السلطة واستقرارها، فقد ربط بين طغيان الشروح بعدم استقرار السلطة يقول: "إن المرحلة التي طغت فيها "الشروح" المرتبطة بنص القزويني في ميدان البلاغة والبيان، كانت فترة تاريخية مضطربة، تميزت بتراجع عام سياسي وثقافي وبمواجهة خارجية وتشتت الجبهة الداخلية"[23].

صفوة القول إن بلاغة المناظرة تعبير عن سلطة وزير الخليفة العباسي المقتدر؛ أبي الفتح جعفر بن الفرات الذي شجع أبا سعيد السيرافي على خوض غمار المناظرة مع المنطقي اليوناني متى بن يونس، بعد أن قال: "ألا ينتدب منكم إنسان لمناظرة متى في حديث المنطق، فإنه يقول: لا سبيل إلى معرفة الحق من الباطل والصدق من الكذب والخير من الشر والحجة من الشبهة والشك من اليقين إلا بما حويناه من المنطق وملكناه من القيام به، واستفدناه من واضعه على مراتبه وحدوده، فاطلعنا عليه من جهة اسمه على حقائقه"[24].

إن بلاغة المناظرة بين أيدينا مرتبطة ببلاغة سلطة الوزير الآمر بالانتداب لمناظرة متى، لأن الانتصار على متى المنطقي اليوناني، انتصار للنحو العربي، والوزير العباسي، وهذا سر احجام الحضور عن مناظرة متى لأن الأمر جلل، وبهذا نفهم سر قول ابن الفرات " والله إن فيكم لمن يفي بكلامه ومناظرته وكسر ما يذهب إليه وإني لأعدكم في العلم بحارا وللدين وأهله أنصارا، وللحق وطلابه منارا"[25]، بمعنى آخر أن الانتصار في هذه المناظرة ليس انتصارا لأبي سعيد السيرافي، وإنما انتصار للوزير ابن الفرات والدولة العباسية، وهو ما يفسره قول ابن الفرات مرة أخرى للسيرافي الذي حاول الاعتذار عن مناظرة متى؛ "فاعتذارك عن غيرك يوجب عليك الانتصار لنفسك، والانتصار في نفسك راجع إلى الجماعة بفضلك، فقال ابو سعيد مخالفة الوزير فيما رسمه هُجنة، والاحتجاز عن رأيه إخلاد إلى التقصير؛ ونعوذ بالله من زلة القدم، وإياه نسأل حسن المعونة في الحرب والسلم"[26] بالتالي فالمناظرة مرتبطة بالهوية العربية التي يترجمها اعتبار انتصار أبي سعيد السيرافي العربي على متى بن يونس المنطقي اليوناني، انتصارا للنحو العربي على المنطق اليوناني، بالتالي انتصار الثقافة العربية على الثقافة اليونانية، أي انتصار الشريعة العربية، على الحكمة اليونانية، فالمناظرة بهذا المعنى دفاع عن الهوية العربية والثقافة العربية.

يذهب الباحث محمد مشبال أن البلاغة مرتبطة بهوية فقد عقد فصلا من كتابه" خطاب الأخلاق والهوية في رسائل الجاحظ مقاربة بلاغية وحجاجية" بعنوان" البلاغة والهوية"، خصه لتحليل ارتباط بلاغة الجاحظ بهويته العربية، المدافعة عن العقيدة الاسلامية بأسلوب الحوار والاقرار للآخر بحقه في الاختلاف الثقافي والهوياتي ومن بين الخلاصات التي توصل إليها الباحث مشبال بصدد نثر الجاحظ ما يلي: "جملة القول، سواء أكانت الغاية من الدفاع عن

الدين خدمة قضية الجاحظ الأساس في دفاعه عن الهوية الثقافية العربية، أم كانت غاية سياسية تمثلت في خدمة السلطة وتدعيمها؛ فإن الرسالة تظل خطابا يروم صيانة العقيدة الإسلامية باعتبارها مكونا من مكونات الهوية الثقافية للعرب"[27].

صفوة القول؛ ترتبط البلاغة بالسلطة ارتباط جدليا، فهما متفاعلتان؛ فحيثما وجدت بلاغة وجدت سلطة، فكما أن السلطة تستعين ببلاغة النخبة للسيطرة على حيز الخطاب، فإن النخبة قد تساند وتهادن بلاغة السلطة، وهو ما عبر عنه أبو سعيد السيرافي في نص المناظرة، حينما قال للوزير ابن الفرات: "مخالفة الوزير فيما رسمه هُجنة، والاحتجاز عن رأيه إخلاد إلى التقصير؛ ونعوذ بالله من زلة القدم، وإياه نسأل حسن المعونة في الحرب والسلم" كما ورد سابقا.

إلا أن ثمة نخبة تعارض بلاغة السلطة، وتدعوا إلى تأسيس بلاغة جديدة يستعيد فيها الجمهور كرامته وحريته وبلاغته، ولكن السلطة لن تظل مكتوفة الأيدي فهي تواجه بلاغة النخبة، إما عزلا وإقصاء أو قمعا وسجنا، وإما توظيفا واغراقا في نعيم وملذات بلاغة السلطة، وقليل من يستطيع أن يجد طريقا توفيقيا كصنيع "الولالي" الذي مر بنا الذي استطاع تسخير بلاغة البيان بلاغة مبنية على التوفيق المذهبي والتوازن المجتمعي، والوحدة السياسية.

ابرازا للقيمة البلاغية والحجاجية والأسلوبية للنص المناظرة، بين النحوي أبي سعيد السيرافي، والمنطقي متى بن يونس اليوناني، فإننا بداية نقر بأن المناظرة-بين أيدينا- استوفت شروطها ممثلة في النص، فهي مناظرة بين شخصين عارفين بتخصصهما، في زمن ومكان محددين برعاية الوزير العباسي ابن الفرات وهو ما تدل عليه العبارة "لما انعقد المجلس سنة ست وعشرين وثلاثمائة"، بالتالي فهي؛ ليست مناظرة مفترضة من جهة واحدة تعترض على أسئلة خصم مفترض كما وسم الباحث مصطفى الغرافي مناظرة ابن قتيبة السني (ت276هـ) [28]، وإن كانت أسئلة مشروعة تطرح بصدد "مصداقية المناظر الإسلامي وأمانته في عرض وجهة نظر الآخر وأطروحته، أو على الأقل عدم إخضاعها للتأطير والتوجيه" كما طرح السؤال الباحث الإمام العزوزي بصدد مناظرة الباجي واردة[29].

2- الاليات البلاغية والحجاجية في نص المناظرة: تتعدد الآليات الحجاجية والبلاغية التي جعلت من نص المناظرة خطابا احتماليا يروم التأثير في المستَمع المتفاعل مع أجواء المحاججة، أو القارئ لها كما دونها التوحيدي (ت414هـ) في "الامتاع والمؤانسة" ومن هذه الاليات:

2-1 بلاغة الاستفهام: يحتل الاستفهام حيزا كبيرا في نص المناظرة، إذ بطرح السؤال يتمكن المناظر من امتحان خصمه، واكتشاف مدى قوة أسسه المعرفية من غيرها، وبذلك

يكون الاستفهام بليغا لأن غايته الإفحام، وابراز مدى محدودية تصور الخصم بغية الاعتراض عليه، فحين ما يقول أبو سعيد في بداية المناظرة لمتى بن يونس؛ "حدثني عن المنطق ماذا تعني به؟ "، فليس لأنه لا يعرف المنطق أو لم يسمع به، وإنما تأكيد لقوله "فإذا فهمنا مرادك فيه كان كلامنا معك في قبول صوابه ورد خطئه على سنن مرضي وطريقة معروفة"

بهذا المعنى فإن الاستفهام هنا يدل على التأثير في المخاطَب (متى بن يونس) لتشكيكه في معلوماته، وكشف زيف طرحه، فمباشرة بعد تعريف متى للمنطق ب"آلة من آلات الكلام يعرف بها صحيح الكلام من سقيمه، وفاسد المعنى من صالحه كالميزان".

إن الاستفهام تكمن بلاغته في كونه يضمن استمرار التواصل التداولي بين المتناظرين، علاوة انه يؤكد افحام المناظر أبوسعيد السيرافي لمتى بن يونس، لأنه مباشرة بعد تعريف متى للمنطق بكونه "آلة من آلات الكلام"، قال السيرافي " أخطأت"، ليستمر المناظر في أسلوب الاستفهام الدال على الانكار والنفي، انكار لمعرفة متى ونفي لصحتها، إلى درجة السخرية والاستهزاء من معارف متى، التي تدل على قصور معرفته بخصوصيات النحو واللغة العربية وهو ما يدل عليه ما يلي:

قول أبو سعيد لمتى" أخطأت، لأن صحيح الكلام من سقيمه يعرف بالنظم المألوف والإعراب المعروف إذا كنا نتكلم بالعربية، وفاسد المعنى يعرف بالعقل إذا كنا نبحث بالعقل"[30].

لتستمر بلاغة أسلوب الاستفهام في تأدية نفس الأبعاد الساخرة، كالآتي: "فمن لك بمعرفة الموزون أيما هو حديد أو ذهب أو شبه؟ فأراك بعد معرفة الوزن فقيرا إلى معرفة جوهر الموزون وإلى معرفة قيمته وسائر صفاته التي يطول عدها، فعلى هذا لم ينفعك الوزن الذي عليه اعتمادك"[31].

إن أبا سعيد هنا يلمح بلغة استعارية أن معرفة متى لا تتعد حدود ظواهر الأشياء وأشكالها ورسومها، دون ان تتعمق للجواهر والبواطن التي هي روح الأشياء، وهو ما يؤكده، القول: "فأنت كما قال الأول حفظت شيئا وغابت عنك أشياء" وفي ذلك دلالة قوية على قصور معرفة متى بجواهر اللغة ومنطقها، وهو ما يبرر اختبار أبي سعيد له بهذه المسألة التي يوضحها هذا النص: " أسألك عن حرف واحد وهو دائر في كلام العرب، ومعانيه متميزة عند اهل العقل؛ فاستخرج انت معانيه من ناحية منطق أرسطو طاليس الذي تدل به وتباهي بتفخيمه، وهو الواو ما أحكامه؟ وكيف مواقعه؟ وهل على وجه أو وجوه؟ "[32].

تكمن بلاغة النص التأثيرية في كون المناظر أبو سعيد اقتصر أسئلته -علما أن من مقتضيات المناظرة أن تكون كثيرة -على سؤال واحد، وهذا يدل على رسالة يريد أن يوصلها

للحضور وقت المناظرة، وللقارئ لنص المناظرة مفادها قصور معرفة متى، وأن منطق أرسطو طاليس الذي يباهي به لم يشفع له أن يجيب عن مسألة بسيطة، وهي الواو وأحكامه.

صفوة القول إن الاستفهام في نص المناظرة قيد الدرس؛ يحمل ملمحا بلاغيا حجاجيا يروم إفحام متى بن يونس، فقد بهت هذا الأخير أمام أسئلة أبي سعيد النحوي المحرجة، والتي تكشف للحضور ضيق اطلاعه، وقصور معرفته بالنحو وباللغة وبالمنطق رغم أن "النحو منطق ولكنه مسلوخ من العربية، والمنطق نحو ولكنه مفهوم باللغة" كما يقول نص المناظرة[33].

وهو ما جعل متى لم يجد بدا من الاعتراف لأبي سعيد السيرافي عن عدم معرفته بالنحو؛ "هذا نحو والنحو لم أنظر فيه لأنه لا حاجة للمنطقي إليه، وبالنحوي حاجة شديد للمنطق"[34].

فالاعتراف سيد الأدلة كما يُقال قانونا، وقد يقال حجاجيا في المناظرة فاعتراف متى بعدم نظره في النحو "والنحو منطق"، كاف ليتوصل أبوسعيد للنتيجة التي تسم متى بالجهل، " أنت تجهل حرفا واحدا في اللغة التي تدعو بها حكمة يونان، ومن جهل حرفا أمكن أن يجهل حروفا، ومن جهل حروفا جاز أن يجهل اللغة بكمالها، فإن كان لا يجهلها كلها ولكن يجهل بعضها، فلعله يجهل ما يحتاج إليه ولا ينفعه فيه علم ما لا يحتاج إليه"[35].

ومنه فعلم متى بالمنطق اليوناني لا يشفع له، ان لا يعرف منطق اللغة العربية بحروفها وأفعالها وغيرها وهو يدعو بها إلى حكمة يونان، فالأمر مدعاة للسخرية!!

الأمر الذي شجع الحضور ومنهم الوزير ابن الفرات أن يأمر السيرافي أن يسأل متى عن مسائل أخرى تثبت عجزه المعرفي، عدم ضبطه للمنطق الذي يتبناه كما نجد في هذا النص:

" سَله عن مسألة أخرى، فإن هذا كلما توالى عليه بان انقطاعه، وانخفض ارتفاعه في المنطق الذي لا ينصره والحق الذي لا يبصره"[36].

صفوة القول؛ إن بلاغة الاستفهام في نص المناظرة استراتيجية حجاجية وبلاغية، مكنت أبا سعيد السيرافي النحوي، من افحام متى بن يونس واظهاره بمظهر غير المتمكن تمكنا أمكن بلغة النحاة من المعارف، بل حتى المنطق الذي يباهي به.

والملاحظ ان بلاغة نص المناظرة متنوع التجليات وهو ما سنكتشفه مع بلاغة الأمر.

2-2 بلاغة الأمر: تتوارد الأفعال الدالة على الأمر في نص المناظرة، للمساهمة في اتساق وانسجام النص، فهي تمكن المناظر من الانتقال بخصمه إلى مسائل لتأكيد سعة اطلاعه من عدمه، وهنا تكمن بلاغة الأمر في قدرته على التأثير على السياق المحيط بالمناظرة لاسيما الحضور والوزير ابن الفرات، وتثبت لهم قصور معرفة متى وعدم نظره في النحو، وعدم تمكنه

من المنطق اليوناني نفسه ومن أمثلة الأمر: "دع هذا؛ فإذا كان المنطق وضعه رجل من يونان على لغة أهلها واصطلاحهم عليها، وما يتعارفونه من رسومها وصفاتها"[37]

يدل فعل الأمر "دع هذا" على الانتقال بالمناظَر (متى بن يونس)، من مسألة لمسألة بعد اكتشاف المناظِر (أبي سعيد السيرافي) عجز المناظَر عن الجواب عن المطلوب، علاوة أنها تدل على إفحام المناظِر للمناظَر، فبلاغتها تكمن في أبعادها التداولية والتأثيرية في الحضور وقت المناظرة فهم يكتشفون افحام السيرافي لمتى وانقطاعه عن الجواب وهي غاية المناظرة، وهو ما يدل عليه قول ابن الفرات في ثنايا نص المناظرة: "أيها الشيخ الموفق، أجبه بالبيان عن مواقع "الواو" حتى تكون أشد في إقحامه، وحقق عند الجماعة ما هو عاجز عنه ومع هذا فهو متشنع به"[38]. تعتبر صيغة الأمر (أجبه بالبيان) تحفيزا للسيرافي على الاستمرار في إفحام متى، حتى يكتشف الحضور تغليطه وتبكيته، وهو ما يؤكده قول ابن الفرات: "تمم لنا كلامك في شرح المسألة حتى تكون الفائدة ظاهرة لأهل المجلس، والتبكيت عاملا في نفس أبي بشر"[39].

غني عن البيان أن بلاغة الأمر في نص المناظر تدل على أخذ زمام المبادرة، فالذي يبدأ بالأمر بالخوض في مسألة ما يدل على سعة اطلاعه بها، والإحاطة العلمية بشواردها، فللأمر أبعاده الحجاجية والتأثيرية؛ فهو يدل على التحكم وتوجيه المناظر إلى مسائل محددة تظهر للحضور عجز المناظَر عن الجواب، كما يدل أيضا على الانتقال من مسألة لأخرى، بحيث يظهر المناظِر السيرافي كأستاذ يختبر معرفة متى التلميذ ليكتشف الحضور حاجة التلميذ متى لتقليب النظر في النحو واللغة والمنطق نفسه الذي يباهي به.

2-3 بلاغة السجع: للسجع في النصوص النثرية وظائف كوظائف العروض في النصوص الشعرية، فهو يضمن اتساق النص موسيقيا من خلال ما يحدثه وحدة الحرف الأخير للجمل النثرية في النص من موسيقى، تساهم في التأثير في المستمَع Auditoire، ولأهميتها في النصوص فقد وقف عندها أرسطو في كتابه الخطابة[40]، ضمن الأسلوب والإيقاع في النص ودرهما في ايقاظ السامع وشده للنص، وقد اعتبره بعض الباحثين من الباطوس العاطفي، فموسيقية النص تدغدغ مشاعر لمخاطَب[41]، وقد اعتبره الباحث البلاغي عماد عبد اللطيف يدخل ضمن "الاحتشاد البلاغي" أو التضفير الخطابي"[42]، حين يعمد الخطيب السياسي الاتكاء على التوازيات الصوتية التي تجعل المستمِع لا ينتبه للأثر البلاغي للخطاب السياسي، وتعتبره الباحثة ربيعة العربي استنادا لدراسات باتريك شارودو: "نجد الباتوس Pathos العاطفي البلاغي الذي بالارتكاز على الأحاسيس الكفيلة بحث الفرد على التحرك في هذا الاتجاه أو ذاك، يضع استراتيجيات خطابية تهويلية لحصر الآخر في محيط انفعالي يخضعه للمتكلم"[43]، أي حصر المستمع في محيط انفعالي يوجهه إليه الفاعل السياسي. وتتوارد بلاغة السجع في نص المناظرة لتحقيق

الأغراض الجمالية، ولتأكيد تمكن المناظر السيرافي من اللغة العربية باستعاراتها وكناياتها ومجازها ومنها:

" وهذا باب أنت وأصحابك ورهطك عنه في غفلة؛ على أن هاهنا سرا ما علق بك، ولا أسفر لعقلك، وهو أن تعلم أن لغة من اللغات لا تطابق لغة أخرى من جميع جهاتها بحدود صفاتها، في أسمائها وأفعالها وحروفها وتأليفها وتقديمها وتأخيرها، واستعارتها وتحقيقها، وتشديدها وتخفيفها، وسعتها وضيقها ونظمها ونثرها ووزنها وميلها، وغير ذلك مما يطول ذكره"[44].

تحقق بلاغة السجع تأثيرها البلاغي في الجمهور الحاضر وقت المناظرة، فانبهاره بالأداء الموسيقي للسجع يجعله يعتقد أن المناظر أبا سعيد السيرافي أفحم المنطقي متى بن يونس؛ من خلال اثباته معرفته وإحاطته باللغة العربية وبحقولها المعرفية، والتي متى بن يونس عنها هو ورهطه في غفلة عنها. وهو ما جعل السيرافي بصدد التعامل مع متى بن يونس، ليس في موضع تعامل المناظر للمناظر، بل في تعامل موضع الأستاذ للتلميذ وهو ما يؤكده:

" إذا حضرت الحلقة استفدت، ليس هذا مكان التدريس هو مجلس إزالة التلبيس"[45].

صفوة البيان تؤدي بلاغة السجع في نص المناظرة وظائف بلاغية وحجاجية متنوعة منها:

- اضفاء الأبعاد الجمالية على نص المناظرة
- اثبات تمكن المناظرين أو أحدهم من اللغة العربية وحقولها المعرفية
- التأثير في المستمَع من خلال فتنه séduire بالأداء البلاغي لأحد المناظرين

وهو ما تدل عليه هذا النص: " قال علي بن عيسى: وتقوض المجلس واهله يتعجبون من جأش أبي سعيد الثابت ولسانه المتصرف ووجهه المتهلل وفوائده المتتابعة.

وقال الوزير ابن الفرات: عين الله عليك أيها الشيخ، فقد نديت أكبادا وأقررت عيونا، وبيضت وجوها، وحكت طرازا لا يبليه الزمان، ولا يتطرق إليه الحدثان.

فقلت لعلي بن عيسى: وكم كانت سن أبي سعيد في ذلك الوقت؟

قال: مولده سنة ثمانية ومائتين، وكان يوم المناظرة أربعون سنة، وقد عبث الشيب بلهازمه مع السمت والوقار والدين والجد، وهذا شعار أهل الفضل والتقدم، وقل من تظاهر به أو تحلى بحليته إلا جل في العيون وعظم في النفوس، واحبته القلوب وجرت بمدحه الألسنة"[46].

2-4 بلاغة المقارنة: المقارنة آلية من آليات الحجاج، وتكمن بلاغتها في قدرتها التأثيرية في المستمع، لأنها تجعله يدرك مختلف التمايزات بين شيئين، وقد اعتبر الباحث محمد مشبال بلاغة المقارنة في الخطاب؛ تقنية واستراتيجية حجاجية لأنها تنبني على تفسير أسباب التفضيل

والتفوق باعتماد الرابط الحجاجي "لأنه"[47]، وارتباطا بخطاب المناظرة فالمقارنة بين النحو العربي أو منطق اللغة/ اللفظ، وبين المنطق اليوناني أو منطق العقل/المعنى.

وهذا النقاش مرتبط بنسق فكري عميق في الثقافة العربية والاسلامية؛ فرق بين فرق كلامية، وفاصل بين النقل والعقل، وبين اللفظ والمعنى، وربما ما حدا بالجابري تسميته بالفكر البياني بجانب الفكر العرفاني والفكر والبرهاني[48].

ومما يدل على بلاغة المقارنة في نص المناظرة؛

قول متى: "هذا نحو والنحو لم أنظر فيه، لأنه لا حاجة بالمنطقي إليه، وبالنحوي حاجة شديدة إلى المنطق، لأن المنطق يبحث عن المعنى، والنحو يبحث في اللفظ، فإن مر المنطقي باللفظ فبالعرض، وإن عثر النحوي بالمعنى فبالعرض والمعنى أشرف من اللفظ، واللفظ اوضع من المعنى"[49]. لا شك أن متى بصدد المقارنة والتفضيل بين المنطق اليوناني الذي يبحث في المعنى، والنحو العربي الذي لم ينظر فيه لأنه يبحث في اللفظ، ثم لأن لا حاجة للمنطقي للنحو، وللنحوي حاجة للمنطق، علاوة على توظيف صيغة اسم التفضيل "أشرف" و"أوضع".

ولهذا كان رد السيرافي يدل أيضا على المقارنة نحو: "فلم تدعي أن النحوي إنما ينظر في المعنى دون اللفظ دون المعنى، والمنطقي ينظر في المعنى لا في اللفظ؟ هذا يصح لو أن المنطقي كان يسكت ويجيل فكره في المعاني، ويرتب ما يريد بالوهم السانح والخاطر العارض والحدس الطارئ؛ فأما وهو يريغ أن يبرر ما صح له بالاعتبار والتصفح إلى المتعلم والمناظر، فلا بد له من اللفظ الذي يشتمل على مراده، ويكون طباقا لغرضه، وموافقا لقصده"[50]. يرد السيرافي في هذا النص على تفضيل متى للمنطق لأنه ينظر في المعنى، على النحو الذي ينظر في اللفظ؛ من خلال تأكيده استحالة التعبير عن المعاني دون الألفاظ، لأن "الألفاظ أوعية للمعاني"، فلا يمكن للمنطقي التعبير عن المعاني بالوهم السائح والخاطر العارض والحدس الطارئ.

بل إن السيرافي يقدم طرحا مقنعا باعتبار اللفظ طيني والمعنى إلهي؛ " إنما الخلاف بين اللفظ والمعنى أن اللفظ طبيعي، والمعنى عقلي؛ ولهذا كان اللفظ بائدا على الزمان، لأن الزمان يقفو أثر الطبيعة، ولهذا كان المعنى ثابتا على الزمان، لأن مستعمل المعنى عقل، والعقل إلهي، ومادة اللفظ طينية، وكل طيني متهافت"[51].

تكمن بلاغة المقارنة في قدرتها التأثيرية في المستمع، ولهذا عمد كل من السيرافي ومتى في نص المناظرة تقديم ما يمكن به تفضيل المنطق على النحو، او النحو على المنطق.

لأن المقارنة بين المنطق والنحو في الحقيقة؛ مقارنة بين منظومة منطقية يونانية، ومنظومة نحوية عربية، تفضيل للمنطق على النحو بالتالي تفضيل لليونان على العرب ومن هنا تكتسي المقارنة بلاغتها كاستراتيجية حجاجية غايتها التأثير في المستمَع.

وداخل المنظومة الثقافية العربية فإن المقارنة بين اللفظ والمعنى، مقارنة بين المعتزلة والأشاعرة؛ بين النقل والعقل، والسيرافي أستاذ التوحيدي في النحو امتداد لمشروع الجاحظ المعتزلي.

2-5 بلاغة التضاد: هذه البلاغة امتداد للبلاغة المقارنة، فبضدها تعرف الأشياء كما هو معلوم، فاللفظ يعرف بالمعنى، ومنه فإن بلاغة التضاد استراتيجية حجاجية بلاغية في نص المناظرة غايتها؛ تقديم مجموعة من المتناقضات حول موضوع النقاش حتى يدرك المستمَع زيف طرح أحد المناظرين.

جاء في نص المناظرة: "قال متى: يونان وإن بادت مع لغتها، فإن الترجمة حفظت الأغراض وأدت المعاني وأخلصت الحقائق.

قال أبوسعيد: إذا سلمنا لك أن الترجمة صدقت وما كذبت، وقومت وما حرفت، ووزنت وما جزفت، وأنها ما التاثت ولا حافت، ولا نقصت ولا زادت، ولا قدمت ولا أخرت، ولا أخلت بمعنى الخاص والعام، ولا بأخص الخاص ولا بأعم العام"[52].

يوظف نص المناظرة هنا بلاغة التضاد بين المفردات (صدقت/ كذبت، قومت/حرفت، قدمت /أخرت، وزنت/جزفت....)، وبين الجمل (أخص الخاص/ أعم العام) كاستراتيجية تأثيرية تجعل الحاضر يدرك قصور تصور متى بن يونس حول الترجمة من خلال ابراز ابو سعيد السيرافي امكانية وقوع الترجمة في هفوات تجعل المعنى المنقول مختلا.

2-6 بلاغة المثال: يعد توظيف المثال في النص النثري استراتيجية بيدغوجية تروم توضيح ما يمكن ان يستشكل على المخاطَب، وتكمن بلاغته في نص المناظرة في كونه يجعل احد المناظرين في مقام الأستاذ (السيرافي)، وهو يشرح لتلميذه (متى).

جاء في نص المناظرة:

"ثم قال أبوسعيد: دع هذا، هاهنا مسألة علاقتها بالمعنى العقلي أكثر من علاقتها بالشكل اللفظي، ما تقول في قول القائل: "زيد أفضل الإخوة"؟ قال: صحيح، قال: فما تقول إن قال: "زيد أفضل إخوته" فما الفرق بينهما مع الصحة؟ فبلحَ وجنحَ وغصَّ بريقه"[53].

إن المثالين اللذين وظفهما نص السيرافي في المناظرة تكمن بلاغتهما في كونهما كشفا للحضور قصور معرفة متى بن يونس بقضايا اللغة وبالتالي فهو يحتاج إلى مزيد توضيح وشرح وهو ما يوضحه قول السيرافي:

" إذا قلت: زيد أفضل إخوته لم يجز، وإذا قلت: زيد أفضل الإخوة جاز؛ والفصل بينهم أن إخوة زيد هم غير زيد، وزيد خارج عن جملتهم. والدليل على ذلك انه لو سأل سائل فقال: من إخوة زيد، لم يجز ان تقول: زيد وعمرو وبكر وخالد، وإنما تقول: بكر وعمرو وخالد ولا

يدخل زيد في جملتهم، فإذا كان زيد خارجا عن إخوته صار غيرهم، فلم يجز أن تقول: أفضل إخوته كما لم يجز أن تقول: أن حمارك أفره البغال لأن الحمير غير البغال كما أن زيدا غير إخوته"[54]

يستفاد من هذه أن للأمثلة التي أوردها أبو سعيد السيرافي قيمتها الحجاجية، وقد وقف ارسطو عند أهميته في المحاججة وفي إنتاج الاعتقاد، ويميزه بيرلمان عن الشاهد وهو ما جعل الباحث محمد مشبال في تحليله لبلاغة النص السردي عند الجاحظ يسميه ب "حجاجية المثال السردي"، لنه يستمد طاقته البلاغية حسبه من "النزوع الطبيعي عند الإنسان غلى المحاكاة"[55].

صفوة القول غن بلاغة المثال في نص المناظرة علاوة على أبعادها البيدغوجية، تمكن المناظر من شد انتباه الحضور، وجعله يكتشف القصور المعرفي للمناظر المعرفي، لاسيما حين تتاح له فرصة توضيح الأمثلة وشرحها.

2-7 بلاغة السخرية: السخرية في الخطاب الطبيعي القائم على الاحتمال، حجاج غير مباشر une argumentation indirecte حسب بيرلمان وتيتكا[56]، أو هي ضد ما يقوله الخطاب والمفكر به، بواسطة الأثر الساخر، فمنتج الخطاب يقصد من توظيف السخرية في خطابه، التهكم من خصمه، والضحك منه ورسمه في صورة كاريكاتورية، في تناقض حجاجي une contradiction argumentative[57]، فهي من آليات الحجاج الطبيعي القائم على الاحتمال والنسبية، كما تساهم في انسجام الخطاب، مما يصح معه عدها استراتيجية خطابية، ومحسن بلاغي، ومجاز Trope[58].

تعتبر السخرية في نص المناظرة استراتيجية حجاجية، يمارس بها المناظر "فعل التعريض بخصمه والتهكم من طرحه الفكري، وجعله مثارا للضحك والتفكه، وتحضر السخرية Ironie في النص النثري بمختلف أبعادها ومكوناتها؛ الفلسفية والتداولية والحجاجية.

فالسخرية في نص المناظرة بهذا المعنى؛ تعتبر الخصم مخادعا مراوغا، كما تحضر للمفارقة الدلالية والتداولية لمنطوق الخطاب والمراد منه، مما يجعلها حجاجا مضادا "يُسمع صوت الساخر وأصوات أخرى، تنحو من خلالها إلى أن تكون بانية لواقع بديل بواسطة وسائل لغوية مباشرة أو منصرفة إلى حد الدعابة والهزل، مما يتيح للصورة الساخرة استنفاذ الحدود المعقولة والمحتملة ويكسبها فعالية أنفذ إلى النفوس"[59]

ويقصد بها حجاجيا أن يسلك العارض للتدليل على دعواه مسلك السخرية والاستهزاء من المعترِض بغية استمالة المستمَع، بغية التنقيص من قيمة المعترِض، واحتقاره وازدرائه، وقد اعتبرها بيرلمان وتيتكا، في مصنفهما، " عقابا للمسخور منه، من طرف الساخر، فالسخرية بهذا

المعنى: "عقوبة خرق قاعدة مسلم بها، وطريقة لإدانة سلوك شاذ لا نرى أنه جسيم أو خطير حتى نردعه بوسائل أكثر عنفا"[60]، وهي مسلك وجده الخطاب السياسي، والاعلامي والرقمي المعاصر، وسيلة للتعبير عن الاحتجاج والسخط من القرارات التي تتخذها الحكومات، والسخرية حجاجيا عموما سفسطة تخرج الخطاب من دائرة الحجاج إلى دائرة المغالطة، وقد تم توظيف سفسطة السخرية في الخطاب المعاصر، كاستراتيجية للمعارضة والاحتجاج، باعتماد استراتيجية "الرد إلى السخف"، ويشتد وقع السخرية في الخطاب حينما ترتبط بالاستعارة الساخرة، باعتبارها آلية حجاجية، يؤدي وظائف متعددة في عملية التخاطب؛ منها الفهم والتأويل بين المتكلم والسامع[61].

وقد وظفها نص المناظرة فقد سخر السيرافي من خصمه متى بن يونس من قصوره المعرفي ومن ادعائه احاطته بالمنطق وغيرها من العلوم المرتبطة وهو لا يعرف حتى أحكام حرف واحد هو الواو كما جاء في نص المناظرة.

" وقد بقيت أنت بلا اسم لصناعتك التي تنتحلها، وآلتك التي تزهي بها إلا أن تستعير من العربية لها اسما فتعار"[62].

يظهر من خلال المؤشرات النصية اعتماد السيرافي على السخرية كحجاج غير مباشر لتأكيد قصور معرفة متى ومنه يسخر من اليونان ومنطقه.

ونجد نصا آخر يوظف فيه السيرافي السخرية للتعريض باليونان بالتهكم من تصور متى لليونانيين من خلال اعتبار اليونان كغيرهم من الأمم يخطئون ويصيبون ويخضعون للنوازع التي يخضع لها البشر، وان اختراعهم للمنطق كان بناء على معارف ما قبلهم يقول السيرافي:

" ومع هذا فإنما كان يصح قولك لو تسلم دعواك لو كانت يونان معروفة من بين جميع الأمم بالعصمة الغالبة، والفطنة الظاهرة، والبنية المخالفة، وانهم لو أرادوا أن يخطئوا لما قدروا، ولو قصدوا أن يكذبوا ما استطاعوا، وان السكينة نزلت عليهم، والحق تكفل بهم، والخطأ تبرأ منهم؛ والفضائل لصقت بأصولهم، والرذائل بعدت عن جواهرهم وعرقهم، وهذا جهل ممن يظنه بهم، وعناد ممن يدعيه لهم؛ بل كانوا كغيرهم من الأمم يصيبون في أشياء ويخطئون في أشياء، ويعلمون أشياء ويجهلون أشياء، ويصدقون في أشياء ويكذبون في أمور، ويحسنون في أحوال ويسيئون في أحوال؛ وليس واضع المنطق يونان بأسرها، إنما هو رجل منهم، وقد أخذ عمن قبله كما أخذ عنه من بعده، وليس هو حجة على هذا الخلق الكثير والجم الغفير، وله مخالفون منهم ومن غيرهم[63]".

وتحضر السخرية كاستراتيجية من خلال توظيف تقنية الاتهام من خلال قول السيرافي في وصف متى بأنه صاحب مخرقة وزرق:

" قال أبو سعيد: ما تقول في رجل يقول: "لهذا علي دراهم غير قيراط: ولهذا الآخر علي درهم غير قيراط" قال: مالي معرفة بهذا النمط. قال: لست نازعا عنك حتى يصح عند الحاضرين أنك صاحب مخرقة وزرق"[64].

إن اتهام السيرافي لمتى بالخرق والزرق مقدمة حجاجية للوصول إلى نتيجة حجاجية هو كون اليونان جميعا قاصري المعرفة بالشعر والخطابة، وما يوظفونه من مفاهيم إنما استعاروه من العرب؛ "ما وجدنا لكم إلا ما استعرتم من لغة العرب كالسبب والآلة والسلب والإيجاب والموضوع والمحمول، والكون والفساد، والمهمل والمحصور وأمثلة لا تنفع ولا تجدي، وهي إلى العي أقرب وفي الفهامة أذهب"[65].

اعتماد السيرافي على هذا المسار الحجاجي من خلال الحركات الحجاجية؛ التي بدأت من الجزء الذي هو كون متى اليوناني "صاحب مخرقة وزرق"، تلته حركة حجاجية أخرى أي الكل؛ وهو كون "اليونان إنما استعاروا مفاهيمهم من العرب"، الذي سيواجههم بالآتي:

" ثم انتم هؤلاء في منطقكم على نقص ظاهر، لأنكم لا تفون بالكتب ولا هي مشروحة فتدعون الشعر ولا تعرفونه، وتذكرون الخطابة وأنتم عنها في منقطع التراب"[66].

" وإنما بودكم أن تشغلوا جاهلا، وتستدلوا عزيزا؟ وغايتكم ان تهولوا بالجنس والنوع والخاصة والفصل والعرض والشخص، وتقولوا: الهلية، والأينية والماهية والكيفية، والكمية والذاتية والعرضية والجوهري والهيولية والصورية والأيسية والليسية"[67].

توظيف نص المناظرة لهذه المفارقات الساخرة جعلت السيرافي يخلص إلى نتيجة حجاجية، ليست مرتبطة بالجزء الذي هو "متى بن يونس" وإنما بالكل الذي هو الثقافة اليونانية ومنطقها وهو ما يدل عليه الوصف الساخر الذي وظفه السيرافي في وصف المنطق اليوناني ومفاهيمه بـ: "وهذ كلها خرفات وترهات، ومغالق وشبكات، ومن جاد عقله وحسن تمييزه ولطف نظره وثقب رأيه وأنارت نفسه استغنى عن هذا كله"[68].

صفوة القول إن بلاغة السخرية في نص المناظرة تتجلى في الوظيفة الحجاجية التي يؤديها القول الساخر في التأثير في المستمَع الحاضر وقت المناظرة، فعلاوة على اثارة الضحك والتفكه، فيساهم في جعل الحضور يكتشف ضعف طرح أحد المتناظرين، وقصور معرفته بالموضوع المتناظَر حوله، بالإضافة كونها "استراتيجية خطابية" فهي تساهم في بناء خطاب المناظرة بهدف التأثير في المناظر المستهدف متى بن يونس، ومنه التأثير في الثقافة والمنطق اليونانيين.

ويحصل التأثير من خلال المفارقة الساخرة اللغوية والتداولية بين القول والمقصد، وهو ما يفهم من خلال المؤثرات الأسلوبية للجمل الساخرة ومنها: "ثم أنتم هؤلاء في منطقكم على نقص ظاهر" و"وغايتكم أن تهولوا بالجنس والنوع" و" هذه خرفات وترهات ومغالق وشبكات".

ومن هذه الجوانب تكمن بلاغة السخرية باعتبارها تستهدف التأثير في القارئ وتشد انتباهه للتناقض البين في ادعاء متى المعرفة بالمنطق وقصور معرفته بالنحو (منطق اللغة) وهو يجهل معاني حرف الواو.

خاتمة: لقد تبدى لنا بلاغة النص النثري ممثلا في نص المناظرة، وبلاغته تكمن في قدرته على الاقناع والتأثير ببلاغات متعددة؛ بلاغة المقابلة، وبلاغة الاستفهام، وبلاغة المثال، وبلاغة التناص، وبلاغة الاستفهام...الخ

ومرامنا من هذه الدراسة كما قلنا سابقا استثمار المقولات البلاغية التي يقترحها الباحث محمد مشبال في تحليل نثر الجاحظ، وقد أفادنا ذلك في ابراز بلاغة المناظرة، ممثلة في مناظرة النحوي أبي سعيد السيرافي، للمنطقي متى بن يونس.

إن علاقة البلاغة بالسلطة علاقة وطيدة، فقد جسدت بلاغة المناظرة موضوع الدراسة، رغبة السلطة العباسية ممثلة في الوزير ابن الفرات، الانتصار لقيم الثقافة العربية ونحوها وبلاغتها، على القيم اليونانية ومنطقها؛ ولهذا انتدب السيرافي لهذه المهمة المر الذي سجله التوحيدي في قول ابن الفرات في وصف السيرافي بعد (هذه المعركة البلاغية) "عين الله عليك أيها الشيخ، فقد نديت أكبادا وأقررت عيونا، وبيضت وجوها، وحكت طرازا لا يبليه الزمان، ولا يتطرق إليه الحدثان"[69].

إن التوحيدي في نص "الامتاع والمؤانسة"، استمرار لمشروع بلاغة الجاحظ الرامية إلى الدفاع عن قيم الثقافة العربية والتصدي للشعوبية وقيمها الرافضة للعربية ولثقافتها، وما نص المناظرة الذي أبرزنا وجوه بلاغته إلا تصدي آخر، ودفاع عن النحو العربي والثقافة العربية.

إن ما قدمته دراسات محمد مشبال في تحليل بلاغة النص النثري تقدم امام الباحث آليات تمكنه من التفاعل مع النص وتحليله وإبراز جمالية قراءته ومن هذا الباب تكمن ضرورة الآدب والبلاغة[70].

مراجع البحث وإحالاته:

1 محمد مشبال، البلاغة والأدب من صور اللغة إلى صور الخطاب، منشورات دار العين، القاهرة، الطبعة الأولى 2010 ص: 62

2 أبو حيان التوحيدي، الامتاع والمؤانسة، تحقيق محمد حسن اسماعيل، منشورات دار الكتب العلمية، ط2007، ص: 99

3 أرسطو، الخطابة، ترجمة عبد الرحمان بدوي، بغداد 1989، ص: 30

4 Chaiim Perlman ,et Olbrechts Tyteca , Traite de l'argumentation la nouvelle rhétorique, Editions de L'Université de Bruxelles 2008, p78

5 Ruth Amossy , Introduction: pour une analyse rhétorique des textes politiques , Argumentation et Analyse du Discours, 6, 2011,p 3

6 Christian Plantin, L'argumentation histoire, théorie et perspectives, Edition PUF,P 3

7 Constantin Salavastru , Rhétorique et Politique le pouvoir du discours et le discours du pouvoir, L Harmattan France 2004 .P44

8 محمد مشبال، البلاغة والأدب مرجع سابق، ص: 151

9 للتفصيل في تنميط الخطابات من منظور لساني وظيفي، ينظر عبد الوهاب صديقي، نحو الخطاب الوظيفي: من تنميط اللغات إلى تنميط الخطابات مقاربة احمد المتوكل نموذجا، مجلة الدراسات اللغوية والأدبية، منشورات كلية معارف الوحي، ماليزيا، العدد الثاني، السنة الخامسة، ديسمبر 2014، ص: 49

10 محمد مشبال، الحجاج والتأويل في النص السردي عند الجاحظ، منشورات دار محمد علي، ونادي القصيم الأدبي، السعودية، ط1، 2015، ص: 61

11 نفسه، ص: 26

12 ابن خلدون، المقدمة، تحقيق درويش جويدي، المكتبة العربية العصرية، بيروت لبنان، الطبعة 2، سنة 2000، ص 428

13 طه عبد الرحمان، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، منشورات المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، ط3، 2007، ص: 68

14 عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، منشورات ضفاف، ودار الأمان والاختلاف، ط1، 2013، ص: 150

15 الإمام العزوزي، البلاغة والخطاب الديني: مناظرة الباجي نموذجا، ضمن كتاب بلاغة النص الديني، اعداد وتنسيق محمد مشبال، منشورات ضفاف، ودار الأمان والاختلاف، ط1، 2015، ص: 243

16 Roland. Barthe ,L ancienne rhétorique , in communication, 16,1970 ,P 172_ 223
http: //www.persee.fr/web/revues/home/prescript/article/comm_0588-8018_1970_num_16_1_1236

17 Katia Segura , l'argumentation dans des discours politique défendant et s opposant a la constitution européenne lors du referendum en France, Université de Tampere , Langue française, décembre 2007, P13

18 Constantin Salavastru , Rhétorique et Politique le pouvoir du discours et le discours du pouvoir,p124

19 عبد الوهاب صديقي، البلاغة والخطابة السياسية المعاصرة، مجلة الكلمة، عدد 100، أغسطس 2015

20 فصل القول بصدد هذه النقطة الباحث مصطفى الغرافي، البلاغة والأيديولوجيا دراسة في أنواع الخطاب النثري عند ابن قتيبة، منشورات كنوز المعرفة، ط1، 2015، ص: 65

21 محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، الطبعة الثانية 2010، منشورات أفريقيا الشرق، ص: 318

22 عبد الجليل ناظم، البلاغة والسلطة في المغرب أحمد بن محمد بن يعقوب الولالي، الطبعة الأولى 2002 منشورات توبقال، ص: 44

23 نفسه، ص: 50

24 أبو حيان التوحيدي، الامتاع والمؤانسة، مرجع سابق، ص: 99

25 نفسه، ص: 100

26 نفسه، ص: 100

27 محمد مشبال، خطاب الهوية والأخلاق في رسائل الجاحظ مقاربة بلاغية حجاجية، الطبعة الأولى 2015، منشورات كنوز المعرفة، عمان الأردن، ص: 220

28 مصطفى الغرافي، البلاغة والأيديولوجيا، مرجع سابق، ص: 209

29الإمام العزوزي، البلاغة والخطاب الديني: مناظرة الباجي نموذجا، ضمن كتاب بلاغة النص الديني، اعداد وتنسيق محمد مشبال، : 245

30 أبو حيان التوحيدي، الامتاع والمؤانسة، مرجع سابق، ص: 100

31 نفسه، ص: 101

32 نفسه، ص: 103

33 نفسه، ص: 104

34 نفسه، ص: 104

35 نفسه، ص: 106

36 نفسه، ص: 110

37 نفسه، ص: 101

38 نفسه، ص: 107

39 نفسه، ص: 108

40 أرسطو، الخطابة، ترجمة عبد الرحمان بدوي، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، بغداد 1980، ص: 217

41 Patrick Charaudeau, Pathos et discours politique, P 52

42 للتوسع أكثر ينظر، عماد عبد اللطيف، استراتيجيات الاقناع في الخطاب السياسي خطب السادات نموذجا، منشورات الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2012، ص: 220

43 ربيعة العربي، (ترجمة)، الحجاج واشكال التأثير، باتريك شارودو، ضمن كتاب "الحجاج والاستدلال الحجاجي، اعداد وتقديم حافظ اسماعيلي علوي، منشورات الكتاب الجديد، ص: 294

44 أبو حيان التوحيدي، الامتاع والمؤانسة، مرجع سابق، ص: 105

45 نفسه، ص: 108

46 نفسه، ص: 115-116

47 محمد مشبال، خطاب الأخلاق والهوية في رسائل الجاحظ مقاربة بلاغية حجاجية، مرجع سابق، ص: 277

48 للتفصيل أكثر ينظر محمد عابد الجابري، بنية العقل العربي، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، 1993

49 أبو حيان التوحيدي، الامتاع والمؤانسة، مرجع سابق، ص: 104

50 نفسه، ص: 108

51 نفسه، ص: 104

52 نفسه، ص: 102

53 نفسه، ص: 108

54 نفسه، ص: 109

55 محمد مشبال، خطاب الأخلاق والهوية في رسائل الجاحظ مقاربة بلاغية حجاجية، مرجع سابق، ص: 99

56 Ch. Perlman et O.Tyteka, Traite de l'argumentation la nouvelle rhétorique. Edition de L'Université de bruxelles,2008 p 279

57 Ekkehard Eggs , Rhétorique et Argumentation: de l'ironie, Argumentation et L'analyse du discours ,2 , 2009 , p4 Argumentation et Analyse du
Discours [En ligne], 2 | 2009, mis en ligne le 01 avril 2009, Consulté le 20 mai 2015. URL: http: // aad.revues.org/219

58 Danielle Forget , L'ironie: stratégie de discours et pouvoir argumentatif , Etude littéraire , volume32, N1 Autome 2001, p 42

59 أمينة الدهري، الحجاج وبناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة، منشورات المدارس/ الدار البيضاء، ط1، 2011، ص: 24

60 Ch.Perlman et O.Tyteka, Traite de l'argumentation la nouvelle rhétorique. Edition de L'Université de bruxelles,2008 p 279

61 عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير، مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، أفريقيا الشرق، ط2، 2012، ص: 121

62 أبو حيان التوحيدي، الامتاع والمؤانسة، مرجع سابق، ص: 105

63 نفسه، ص: 103

64 نفسه، ص: 110

65 نفسه، ص: 110

66 نفسه، ص: 111

67 نفسه، ص: 111

68 نفسه، ص: 111

69 نفسه، ص: 115

70 محمد مشبال، ضرورة البلاغة قراءة في أفكار أمين الخولي، مجلة فكر ونقد، عدد41 سبتمبر 2001، ص: 90